

التقوى.. مراقبة للنفس



حقيقة التقوى: التقوى لغةً، من الوقاية، بمعنى التحفظ والامتناع. وشرعاً: بمعنى عقل النفس ومنعها عن كلِّ ما تسوء عاقبته، وذلك بالامتناع عن مخالفة الخالق تبارك وتعالى في الأوامر والنواهي، كما ورد عن الإمام الصادق (ع) أنَّه سُئِلَ عن تفسير التقوى فقال: "أن لا يفقدك حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك". جهات التقوى: للتقوى جهتان: الأولى: اكتساب الطاعات وامتنال الأوامر الإلهية والسعي أن لا يترك الواجب (الذي يستوجب عدم الإتيان به سخط خالق العالم وغضبه). وفي المرتبة الثانية السعي لأن لا يترك المستحبات مهما استطاع (والمستحب هو العمل الذي يثاب على الإتيان به ولا يعاقب على تركه). الثانية: اجتناب المحرمات، وترك ما نهى عنه الخالق تعالى، والامتناع عن كل ما يوجب الاتيان به غضبه وسخطه، (الحرام هو العمل الذي يُعاقب على الإتيان به)، وفي المرتبة الثانية السعي لترك المكروهات (المكروه هو العمل الذي يحسن عدم الإتيان به، ويطلب الشارع المقدس تركه، غاية الأمر أنَّه لا توجد عقوبة في الإتيان به). والشخص الذي يطلب السعادة، ومقام التقوى الشامخ، يجب أن يعطي اهتماماً أكثر للجهة الثانية في التقوى، وهي الامتناع عن المحرمات والذنوب، لأنَّه إذا امتنع عن المحرمات فإنَّ عمله الصالح مهما كان قليلاً وصغيراً سيكون مقبولاً، ويقربه إلى الله تعالى (إِنَّ زَكَاةً أَنْ يَتَّقَى لِلَّهِ مِنَ الْمُؤْتَقِينَ) (المائدة/ 27)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح". أقسام التقوى: التقوى والورع على أربعة أقسام: 1-

- 2- ورع الصالحين، وهو الامتناع عن المشتبهات حتى لا يقع في الحرام.
- 3- ورع المتقين، وهو ترك المباحات حتى لا يقع في الحرام (مثل ترك السؤال عن حال الناس لئلا يقع في الغيبة). 4- ورع السالكين، وهو الإعراض عن غير الله تعالى خوفاً من ضياع العمر العزيز في الأعمال غير المفيدة، حتى وإن لم تجر إلى الحرام. الذنب يحبط الأعمال الصالحة: في الحديث الشريف عن رسول الله (ص): "ليجيئن أقوامٌ يوم القيامة لهم من الحسنات كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار. قيل: يا رسول الله (ص) أمصلون؟ قال: كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل، لكنهم كانوا إذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا إليه". وقال أيضاً: "إنَّ ملكاً ينادي على بيت المقدس كل ليلة: من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً". على هذا فإنَّ أهل الإيمان يجب أن يخافوا كثيراً، ويراقبوا أنفسهم كثيراً حتى لا يكون العمل الصالح منهم باطلاً بسبب ارتكاب الذنوب. إنَّه لخسران، وشقاء أن يهدر الإنسان بيده رأس ماله. (وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا) (الفرقان / 23). أقسام الذنب: إذا تورع الإنسان عن الذنوب الكبيرة، لا يؤاخذ على الصغيرة، ويعفو الله تبارك وتعالى بفضلها عنها كما في قوله تعالى: (إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْ عَنُكُكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخِلَ الْكَرِيمِ) (النساء / 31). إذا الذنوب قسمان: كبيرة وصغيرة. الذنب الكبير: هو كلُّ ذنب ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة التصريح بأنَّه كبير، ويتجاوز عدده الأربعين. وقد ورد في المصدرين المقدسين الوعيد على هذه الذنوب بالنار، مثل: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِراً مِّنْهُ مُتَعَمداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا) (النساء / 93)، أو "من ترك الصلاة متعمداً فقد برء من ذمة الله ورسوله". ونخلص بأنَّ الذنب المنصوص عليه قرآناً وسنة بأنَّه كبير فهو كذلك، يضاف إليه كلُّ ذنب عُذِّ بحسب نظر المشرعة وأهل الدين كبيراً. ويجب الالتفات إلى أنَّ الإصرار على الصغيرة كبيرة أو الوقوع في مفسدات كثيرة موجودة في الصغائر، لأنَّ أي عمل نهى عنه الله تعالى إنما هو بسبب وجود مفسدة في ارتكابه، وحينما يرتكب العبد ذنباً صغيراً فإنَّه وإن عفى عنه ببركة ابتعاده عن الكبائر إلا أنَّه سيتورط بمفسدة ذلك الذنب، وبذلك المقدار سيسود قلبه. الآثار المترتبة على الذنب: 1- الذنب يسود القلب: عن الإمام الباقر (ع): "ما من عبد إلا وفي قلبه نقطة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج من النقطة نقطة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى الخير أبداً، وهو قوله تعالى: (كَذَلِكَ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين / 14). 2- يضعف تأثير الموعظة: إنَّ قلوب هؤلاء المذنبين بسبب ظلمة الذنب تكون صماء مظلمة ومحجوبة عن

رؤية الحقِّ ومعرفته، ويغلق عليها طريق الخير، وقبول النصيحة. فقد ورد عن الإمام الصادق (ع) قوله: "من همَّ بسيئة فلا يعملها، فإنَّه ربَّما عمل العبد السيئة فيراه الرب فيقول تعالى: "وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعد ذلك ابداً". فبسبب ارتكاب هذا الذنب يكون مستحقاً للحرمان من ألطف الحقِّ، ولا يوفق للتوبة، وبالنتيجة لا يغفر له". 3- الندم الشديد: في وصية الرسول (ص) لأبي مسعود يقول (ص): "لا تحقرن ذنباً، ولا تصغرنه، واجتنب الكبائر، فإنَّ العبد إذا نظر إلى ذنوبه دمعت عيناه دماً وقيحاً" يقول ا [تبارك وتعالى يوم القيامة: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا وَبَيْنَ ذَنبِهَا أَمَدًا بَعِيدًا) (آل عمران/ 30). 4- يمنع استجابة الدعاء: قال (ص): "مرَّ موسى (ع) برجل من أصحابه وهو ساجد وانصرف من حاجته وهو ساجد فقال، لو كانت حاجتك بيدي لقضيتها لك فأوحى ا [إليه: يا موسى لو سجد حتى انقطع عنقه ما قبلته أو يتحول عملاً أكره إلى ما أحب". 5- يحبط الأعمال الصالحة: "جدوا واجتهدوا، وإن لم تعملوا فلا تعصوا فإنَّ من يبني ولا يهدم يرتفع بناؤه وإن كان يسيراً، ومن يبني ويهدم يوشك أن لا يرتفع بناؤه". من هنا تصبح العبادة الحقيقية ترك الذنب "أصل الدين الورع، كن ورعاً تكن أعبد الناس، كن بالعمل بالتقوى أشد اهتماماً منك بالعمل بغيره، فإنَّه لا يقل عمل يتقبل، لقول ا [:(إِنَّ زَمْزَمَ يَتَقَدِّسُ لِلَّهِ مِنْ الْإِمْدَانِ الْقَيْنِ) (المائدة/ 27). "لو صليتم حتى تكونوا كالأوتاد، وصمتم حتى تكونوا كالحنايا لم يقبل ا [منك إلا بورعٍ حازم". وأخيراً لا يبقى حل سوى التقوى: روي عن سيد الشهداء الحسين (ع) قوله: "أوصيكم بتقوى ا [، فإنَّ ا [قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره إلى ما يحب، ويرزقه من حيث لا يحتسب، إنَّ ا [لا يخدع عن جنته، ولا ينال ما عنده إلا بطاعته". المصدر: مجلة المنطلق/ العدد 35 لسنة